

ومع العقل تجربة وحنكة» (١).

ويحتاج كاتب التدبير (الوزير) إلى التعامل مع كل طبقات الناس - بالإضافة إلى صاحب السلطة العليا في الدولة - من الحكام والجند والعمال وعمامة الناس (٢). وقد فصل ابن وهب الأسس النموذجية التي على الوزير اتباعها في التعامل مع كل فئة من الفئات التي تأتي بعد الخليفة أو السلطان من حيث اختيار العاملين من رجال الدولة (٣) ومن خاصته كصاحب سرية ومشورته، وصاحب خبره وكاتبه وحاجبه والصفات التي ينبغي أن يتخلق بها كل واحد من هؤلاء وأسلوب تعامله مع الوزير ومع عمامة الناس (٤) أما تعامله مع الرعية بمختلف فئاتها فينبغي أن تستند إلى العدل والرأفة على الجاهل والشدة على المفسد حتى تستقيم أمور الجميع وتصح سياسته بما فيه مصلحة امامة أو خليفته أو سلطانه، ومصلحة عامته (٥).

التنظيم الداخلي للدواوين

مما تقدم يتبين لنا أن الدواوين في الخلافة العباسية كانت منظمة تنظيمًا دقيقًا. ويبدو أن هذا التنظيم بدأ يتخذ شكله الأساسي زمن الخليفة العباسي المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٦٨٥) وفي وزارة الوزير أبي عبيدالله معاوية بن يسار، ذلك أن هذا الوزير - كما يذكر صاحب الفخري... جمع له حاصل المملكة، ورتب الديوان (الخراج) وقرّر القواعد... (٦) في إدارة الدولة، كما كان «أول من صنف كتابا في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده» (٧) ويبدو أيضاً أن هذا الوزير هو الذي استحدث في ترتيبه الجديد الدوائر أو الأقسام في كل ديوان من دواوين الدولة والتي تطورت فيما بعد إلى ما صارت عليه في زمن قدامة بن جعفر كما سنرى. ومما يؤيد ما ندعو إليه أن مؤلفات التنظيمات الإدارية والمصادر التاريخية والأدبية لا تذكر هذه المجالس إلا في فترة حكم هارون الرشيد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة والذي تولى الخلافة بعد المهدي، مثل مجلس

- (١) البرهان، ص ٤٠٣. وجعل قدامة آخر باب من أبواب منزلة «السياسة» مخصصاً بـ «استيراد الوزراء وما يحتاج إليه الملك منهم وما يلزم الملوك لهم». لكن هذا القسم مفقود في المخطوط المتوافر لدينا. انظر السياسة، ص ٣٢.
- (٢) انظر ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر - دار بيروت، بيروت، ١٩٦٠، ص ١٥٢.
- (٣) في هذه النقطة يركز على اختيار الحكام، والجند وسياستهم والعمال وصفاتهم ومكافأاتهم ومعاقبهم في حال تقصيرهم. انظر البرهان، ٤٠٥-٤١٢.
- (٤) انظر عن خاصة الوزير، البرهان ص ٤١٤-٤٢٠.
- (٥) انظر البرهان ص ٤٢١-٤٢٥. وانظر عن تطورات الوزارة خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري والنصف الأول من القرن الرابع الهجري، السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية. ص ٨٠ وما بعدها.
- (٦) ابن طباطبا، تاريخ الدول الإسلامية، ص ١٨١.
- (٧) المصدر ذاته، ص ١٨٢. ولا نجد في كتاب الفهرست لابن النديم ذكراً لهذا الكتاب.